



## ماذا لو تنسحب سوريا؟ (٢)

لو كان في سوريا حياة سياسية شفافة، لأمكن القول ان احتمال انسحاب الجيش السوري من لبنان دخل السجال السياسي الداخلي فيها بعد ما قاله رياض الترك في مقابلته مع "الملحق". طبعاً، هذا ليس الوضع راهناً. ولكن، رغم ان السجال السياسي لا يزال معدوماً في سوريا ورغم ان مقابلة الترك لم تصل اليها الا بواسطة الانترنت والآلات الناسخة، فان مجرد ورود كلام بهذا الوضوح عن وجوب احترام حرية لبنان واستقلاله، وعلى لسان رمز المعارضة السورية، بما له من صدقية واحترام داخلها وخارجها، يعني ان فرضية الانسحاب ليس ذاك الوهم الذي يتصوره معظم اللبنانيين.

وعليه، قد يكون صار ملحاً ان يبدأ اللبنانيون أخذ هذا "الوهم" في الاعتبار، على الأقل حتى لا يجعلوا منه، عندما يتحقق، الكابوس الذي يحكي عنه من يريدون نهي التفكير به. قطعاً، لا يعني انسحاب الجيش السوري من لبنان، او حتى نستعمل تعبيراً أدق، اعادة تموضع انتشار سوريا الاستراتيجية الى داخل حدودها القطرية - لا يعني نهاية نفوذها في لبنان.

اذ انها تملك بوضوح ما يكفي من الامتدادات في الجسم السياسي اللبناني حتى تنجح في فرض مرحلة انتقالية اطول بكثير من تلك التي شهدتها أنظمة المعسكر السوفياتي في أوروبا الشرقية. هذا حتى لا نحكي عن السيناريو الكارثي الذي يُروّج له احياناً والذي يستسهل احداث فتن جديدة قد تبرر، وإن بعد حين، استعادة "المبادرة السورية". وفي اي حال ليس المطلوب ان ينعدم النفوذ السوري كلياً في لبنان، وذلك لسببين على الأقل. اولاً لأن السياسات الاقليمية والدولية تكره الفراغ وتسعى دوماً الى ملئه، فكم بالحري وسط التجاذبات التي قد تتعرض لها المنطقة بأسرها بعد الضربة الاميركية للعراق. فحتى وإن يكن صعباً تصوّر انتعاش الاحلام الامبراطورية الاسرائيلية على حساب لبنان في لحظة لا مشاريع امبراطورية فيها الا لأميركا، فلا حاجة الى دغدغة الطموحات الصهيونية الكامنة.

اما السبب الثاني فهو ببساطة ان لا مصلحة للبنان في ان تنتظر سوريا الى انسحابها منه كأنه هزيمة لها، فتتعثّر من جراء هذا الشعور مسيرة اعادة بناء السياسة السورية. على العكس، ان مصلحة لبنان تقتضي ان ترى سوريا في انسحابها زيادة لا نقصاناً، فنتشجع على استعادة ديموقراطيتها الداخلية، لما يعنيه هذا الرهان بالنسبة الى مستقبل الشرق الاوسط عموماً، ومستقبل لبنان خصوصاً. لذا، فان اول خطوة تُطلب على حد سواء من الحكومة اللبنانية، اي حكومة، ومن المعارضة، اي معارضة، اذا تحقّق الانسحاب السوري، يجب ان تكون المجاهرة بضرورة تفعيل معاهدة الاخوة والتعاون والتنسيق، عليها تكتسب اذذاك معناها المرتجى. يبقى ان النفوذ ليس الهيمنة، والمناعة المطلوبة ضد التجاذبات الاقليمية المحتملة لا تتلاءم مع تشاطر سوري - لبناني حول المعنى الذي سيكتسبه انهاء نظام المحمية الراهن.

فلا مناعة حقيقية اذا اصرتّ التركيبة الحاكمة في ظل الحماية السورية على استدامة الانقلاب على الطائف بعد ان يكون رفع عنها الغطاء رحيل "الحامي". ولا مناعة ايضاً اذا كان انهاء نظام المحمية مناسبة لاعادة النظر في ميثاق العيش المشترك بحجة ان الانقلاب عليه افرغه من معناه. ففي



الحالين عودة الى السيناريو الكارثي. بين هذين الحدين، المهمة ليست سهلة بالتأكيد. فاذا كان السيناريو الكارثي معروفاً، فان سيناريو النهاية السعيدة لم يجهز بعد. بل ان اعادة اختراع لبنان، والانسحاب السوري لا يحتمل اقل من ذلك، تفترض حل عدد من المعضلات ليست الهيمنة السورية الا واحدة منها، وان تكن حالياً الاكثر طغياناً. ولعل الوضع الذي سيفضي اليه انتهاء نظام المحمية لا يقارن، من حيث حجم الملفات التي يفتحها، الا بنهاية الحرب. وعليه، قد يكون من الضروري العودة الى هذه النهاية، بمعنى اعادة تأسيس جمهورية الطائف.

صحيح ان التأخر عن مهمة بناء الدولة اكثر من عقد زاد من حدة عدد من المشاكل الموروثة من الحرب. اصلاً، لم يكن هناك من حاجة لاعادة التأسيس لولا ذلك. وصحيح ايضاً ان الحساب العقلاني يرجّح ان يشرف على عملية اعادة تأسيس جمهورية الطائف جزء من الطبقة السياسية نفسها التي افسدت قيامها، فلا نهاية سعيدة بالكامل. لكن للوقت الضائع، منذ اجهضت الجمهورية، فائدته، اذ انه سمح بتعيين مكامن الخلل، وتالياً بتحديد شروط اعادة التأسيس، واولها تفكيك تركيبة جمعت اسوأ مخلفات زمن الحرب، وفي مقدمها الميليشيات المنتصرة والمتحولة مافيات في جهاز الدولة، مع اسوأ اكتشافات زمن السلم، وعلى رأسها بالمناسبة ديكتاتورية المال وحكم العسكر. اما كيف سيتحول جزء من الطبقة السياسية من تخريب الجمهورية الى تأسيسها من جديد، فتلك المعضلة الاكبر. ربما أن الأوان لمواجهة المعضلة، فلا يصبح حلها وهماً.

**سمير قصير**



<b>Id-Reference</b>	<b>02-Pr-000534</b>	
<b>Media</b>	<b>(Support)</b>	HC
<b>Title</b>		ماذا لو تنسحب سوريا ؟ (٢)
<b>Subtitle</b>		
<b>Section</b>		
<b>Language</b>		عربي
<b>Source</b>		النهار
<b>Page</b>		١ تنمة ١٦
<b>Date</b>		٢٠٠٢/١٢/٢٧
<b>Author</b>		سمير قصير
<b>Co-Author</b>		
<b>Keywords</b>		
	<b>Persons</b>	رياض ترك
	<b>Locations</b>	لبنان - سوريا
	<b>Dates</b>	
	<b>Themes</b>	لبنان - سوريا. نظام - انسحاب جيش سوريا - سياسة سورية - جمهورية طائف - رياض ترك - ملحق نهار - هيمنة سورية - شرق أوسط - نظام حماية سورية - معارضة سورية - إعادة إنتشار سوريا - نفوذ سوري لبنان - نظام محمية سورية - معسكر سوفيائي - مبادرة سورية - معاهدة أخوة تعاون. تنسيق لبناني سوري - وصاية سورية - حرب أميركية على عراق - صهيونية - اتفاق طائف
<b>Subject</b>		